شمشون

لالياس ابو شبكة

ليس شمشون ، بطل هذه القصيدة ، ببطل التوراة ، نذير الله من بطن امه ، قاتل الف فلسطيني بلحى حمار والمدفون في ضريح ، منوح أبيه بين صرعة واشتأول ، فشمشون ، بطل هذه القصيدة ، هو الشاعر الجبار والقاضي الانساني الثائر الذي ينغمس في حمأة الحياة كما ينغمس فيها سائر المائتين الا انهُ يخرج من الرذيلة فضيلة كما اخرج شمشون التوراة عسلاً من رمة السبع . إن شمشون ، بطل هذه القصيدة هو الشاعر الجبار الذي تتغلب عليه حيل العالم الشرير فتقص جناحيه وتفقأ عينيه الا ان جناحيه في روحه وعينيه في قلبه وليست قوة شمشون هذا في شعره بل في شعوره ، وبهذا الشعور القوي يقرّض دعائم الزور والضغينة والبهتان ويهدم هيكل الرياء المقنع بالارجوان »

ملقيه بحسنك المأجور وادفعيه للانتقام الكبير
إن في الحسن ، يا دليلة ، أفعى كم سمتنا فجيعها في سرير
أسكرت خدعة الجمال هرقلا قبل شمشون بالهوى الشرير
والبعيرُ البعيرُ يخدع بالحسن وينقاد كالضرير الغرير
ملقيه فالليل سكران واهٍ يتلوّى في خدره المحرور
ونسور الكهوف ارهبها الحبُّ فهانت عليه كالشحرور
وعنا الليث للبوءة كالظبي فما فيه شهوة للزئير

***

شيق الليث ليلة فتمرّى ثائراً في عرينه المهجور
تقطر الجمشة المعرة الشهباء منهُ كأنه في هجير
يضرب الارض بالبراثن غضبانَ فيُصدي القنوطُ في الديجور
ووميض اللظى يطلّف عينيه فعيناه فوهتا تنّور
وزا من عرينه تتشظّى حممٌ من لظاه في الزمهرير

والظباء الخصوم من رئتيه يشعل الغاب في الدجى المقرور
فسرى الذعر في الشقاب فغرّت وترامى الى عشاش النسور
وإذا لبوة مخدرة الحسن تردّت من كهفها المخدور
تنضح اللذة الشهية منها: خمرة من جناها المأثور
فتنبّهُ العبير في مخدع الليل فتشهى حتى عروق الصخور
فتلاشى اللهيب في سيد الغاب امير المغاور المنصور
والعظيم العظيم تضعفه أنثى فينقاد كالحقير الحقير
ملقيه في أشعة عينيك صباحُ الهوى وليلُ القبور
وعلى ثغرك الجميل ثمار حجبت شهوة الردى في العصير
ملقيه فبين نهديك غامت هوّة الموت في الفراش الوثير
هوّة أطلعت جهنم منها شهواتٍ تفجرت في الصدور
ملقيه في ملاءتك الحمر مساحيق معدن مصهور
يسرب السم من شفاهها الحمرى الى ملمس الردى في الثغور

***

خيّم الليل ، يا دليلة ، في الغاب واغفى حتى الشذى في الزهور
فانشقي فورة الحرارة من جسمي وغذّي قواك من اكسيري
أنت حسناء مثل حية عدن ، كورود الشارون ذات العطور
وكسفر الوصل الوديع وأن كنت تناجين عقربًا في الضمير
لست زوجي بل أنت أنثى عُقاب شرس في فؤادي المسعور
فاشتهي كلّ ليلة خطبي الدامي على خرّ جسمك المخمور

***

وأتى الصبح ضاحك الوجه يرغي زبدُ النور في ضحاه الغرير
أين شمشون يا صحاري يهوذا ؟ أين حامي ضعيفك المستجير ؟
أين قاضيك ، دافع الضيم ، طاغي المستبدين ، صائن الدستور ؟
أعورت شهوةٌ من الحب عينيه وكم اعور الهوى من بصير
إن قاضي المستعبدين لعبدٌ وقضاهُ عورٌ قضاةُ العور

***

حفلت قاعة العقاب بجمع من سراة المسوّدين غفير

هم رموز الشقاق والفتن الحمراء والغدر والزنى والغرور
أقبلوا يشهدون مصرع شمشون على لذة الطلا والزمور
بؤرة تعبق القذارة منها سُتِّرت بالشفوف والبرقير
أيدين تخاطلي جناة ضفائرك ويقضي الفجورُ ذنبَ الفجور ؟
وسرت خمرة الوليمة في الحفل لتقديس ساعة التكفير
وكأنَّ النسيم شُوِّق للخمرة فانسلَّ من شقوق الخدور
ولنقر الدفوف صوت غريب يتحدَّى صوتَ العقاب الاخير
واذا فتنةٌ تخاتلها الكرُ على مشهدٍ من الجمهور
فتثنَّت تضاجع الجوَّ نشوى من تلوِّي قوامها المحرور
رقصةُ الموت يا دليلة ، هذي أم تراها اختلاجة في الخمور ؟
وصغا الجمعُ للاسير يناديه بشتى مطاعن التحقير
«هيه شمشون، أيها الفاجر الزنديق يا عبد يهوهَ المقهور»
«أحكيم من المتاقِ تذرَّى شعرهُ فيةً ، من الماخور ؟»
فتلوَّى شمشون في القيد حتى حلَّ فيه روح الاله القدير
فنزا ، زوة الوميض ، من الذلِّ ودوَّى كنافخٍ في صور
بدَّدي ، يا زوابع النار اعداة الهي ، ويا جهنم ثوري
وتنفَّس يا مرقد النار، في صدري وأغرق نسل الربا في سعيري
واسمعي يا دليلة الخبث، من قلبي فكم مرقٍ مصمتٍ قشوري
وارقصي ، لفَّا البراكينُ تغلي تحت رجليكِ كالجحيم النذير
وتغني بمصرعي فكثيراً ما سمعتُ الفحيح في المزمور !
اصبح الليث في يديك اسيراً فاطرحيه سخرية للحمير
واجعلي الذلَّ رمز كل صريح واليواقيت رمز كلِّ غدور
إن أكن سقتُ في غرامك شرًّا فالبرايا مطيةٌ للشرور
غير أني أجني من الخيِّر الجرداء — مهما قذرتُ — شهد قفير
هيكل الاثم لم أبح لك ذلَّ شبح الرقِّ لم أسلِّمك نيري
فاسقطي يا دعائم الكذب الجاني وكوني اسطورة للدهور
محَقَ الله فيَّ شرَّ ظلامي فلتضئ في الحياة حكمةُ نوري
ان تكن جزَّت الخيانة شعري في ضلالي فقوَّتي في شعوري